التحول السوسيو-اقتصادي لوضعية المرأة المغربية أنثروبولوجيا المجال التعاوني بالمغرب الصحراوي مدخلا

Socio-economical dynamic of Moroccan women's status: Anthropology of cooperative space in Sahrawi Morocco as an introduction

كوثر لبداوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس–المغرب

ملخص: يهدف هذا المقال العلمي إلى كشف مظاهر التحول والاستمرار في الوضعية السوسيو-اقتصادية للمرأة بالمغرب الصحراوي، وتسليط الضوء على الإكراهات السوسيو-ثقافية التي تخترق علاقتها بالتنمية المحلية، لهذا الغرض تم تبني مقاربة أنثروبولوجية للتعاونيات بجماعة "أسرير" القروية بجهة "كلميم وادنون"، واعتمادها كمدخل لدراسة العلاقة الجدلية بين المجالين الفيزيقي والرمزي.

ولما كان المجال بناءا اجتماعيا فقد تم تفضيل المنهج الكيفي لدراسة 63 تعاونية، واعتماد تقنيات: الملاحظة، التصوير الفوتوغرافي والمقابلة نصف الموجهة، وقد أفرزت هاته الدراسة الميدانية نتيجة مركزية مفادها أن المجال التعاوني كتنظيم حديث تستعمله المرأة الصحراوية، يتأثر بإيديولوجيا الجماعة وبتمثلاتها للنوع الاجتماعي حيث تستمر به العديد من البنيات التقليدية المرتبطة بوضعية المرأة، كما أنه يؤثر فيها من خلال إحداثه العديد من التحولات على هاته الأخيرة.

الكلمات المفتاحية: المرأة، أنثروبولوجيا المجال، المجال التعاوني، المجال الرمزي، التحول، الاستمرار.

Abstract: This scientific article aims to unveil aspects of transformation and continuity of woman's socio-economic status in Sahrawi Morocco, and to highlight the socio-cultural constraints that pass through their relationship with local development, for this reason, an anthropological approach is adopted for the cooperatives in t the village of "Asrir" region Guelmim-Ouednoun to study the dialectical relationship between the physical and symbolic spaces.

As the field is based socially, the qualitative approach is selected for the study of 63 cooperatives, and the adoption of research techniques such as: observation, photography and semi-structured interviews, this field study has resulted in a central output that the collaborative field as a modern organization used by Sahrawi women is influenced by the group's ideology and its gender characteristics, where many traditional structures related to the status of woman carry on and affect them creating many changes.

Keywords: Woman, anthropology space, cooperative space, symbolic space, transformation, continuity

مقدمـــة

مثلت العلاقة بين الإنسان والمجال اختيارا علميا مفضلا لدى العديد من الدراسات الأنثروبولوجية التي تهتم بالديناميات الاجتماعية وتبحث في المؤشرات الفيزيقية الدالة عليها، وإذا كان الأنثروبولوجيون قد تناولوا المجال في علاقته بثقافة المجتمع، فإن هاته الدراسة تسعى إلى التركيز على دراسة "المجال التعاوني" كمدخل يساعد على الوقوف عند التحولات الاجتماعية والثقافية، التي عرفتها وضعية المرأة بالمغرب الصحراوي بشكل عام، وذلك بالنظر إلى كونها تمثل جزءً أساسيا من الأنطولوجيا الاجتماعية المحلية.

لهذا الغرض تسعى هاته المقالة العلمية إلى اعتماد المقاربة الكيفية لدراسة التعاونية كمجال اجتماعي تسمح عناصره باستقراء أشكال تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، وبدراسة علاقة النوع النسائي بالمجال الذي يقع خارج المنزل، فإلى أي حد يمكن القول إن المجال التعاوني النسائي يتراكب مع المجال المنزلي ويخضع لنفس الإيديولوجيا ونظرة الكوسموس التي تحكمه؟

بالرجوع إلى الموقع الميداني الذي وقع عليه الاختيار، الجماعة القروية "أسرير" بجهة كلميم وادنون جنوب المغرب، يتبين أن ظهور التعاونيات كتنظيم سيوسيو-اقتصادي يكشف حدوث تحولات على مستوى وضعية المرأة وعلاقتها بالمجال، لاسيما وأنه مكنها من احتلال مواقع جديدة بالمجال العمومي ومكنها من العمل المأجور نقدا، فما هو أثر هذه التحولات على وضعية المرأة بالمجتمع الصحراوي الشمالي؟ ثم إلى أي حد يمكن الحديث عن تغيرات دالة على مستوى وضعية المرأة بهذا المجتمع؟

1.المنطقة المدروسة: المجال والإنسان

إن تحديد منطقة الدراسة لا يعني استحضارا جامدا لمعطيات جغرافية، بقدر ما يعني توطينا لخصوصية المنطقة المدروسة إنسانا ومجالا، واستحضارا لأهم التحولات التي تسربت إليها عبر الزمن وساهمت في تشكيل ملامحها البشرية والاجتماعية في الزمن الراهن.

ينتمي مجال الجماعة القروية المدروسة "أسرير" إلى منطقة وادنون باب الصحراء بالمغرب، وتقع تحديدا ضمن واحاته بالشمال الغربي لجهة كلميم وادنون، مع ما يعنيه ذلك من تميزها بسمات المجتمع الواحي المرتبط بالماء والأرض، تتميز المنطقة بحكم موقعها بالرطوبة النسبية لمناخها وبانبساط طبيعتها مما جعلها قبلة مفضلة لدى المستقرين والرحل على حد سواء، وقد احتلت من الناحية التاريخية موقعا استراتيجيا مكن قبائلها قديما من مراقبة المجال والمسالك التجارية العابرة لما بين وادنون إلى حدود أدرار الموريتاني(Frederic De La Chapelle, 1930, p52) لتصبح بفضل ذلك إحدى أهم العواصم بالمغرب الصحراوي.

تأخذ المنطقة طابعا قبليا، ويعتبر الأمازيغ من الناحية الإثنية الساكنة الأصلية بالمنطقة، والعرب هم الساكنة الوافدة عليها، مما عرض الهوية الجماعية للمنطقة لتحولات ثقافية عميقة تمثلت في عمليتي التعريب والأسلمة(Ahmed Joumani, 2006, p78-81)، جعلتها غير متجانسة لغويا(Ahmed Joumani, 2008, p48)، وهجينة إثنيا على أن ذلك لا يعني أن التعريب الثقافي قضى على كل أثر للثقافة الأمازيغية، ذلك أنها ظلت مستمرة في جوانب متعددة

للحياة الاجتماعية اليومية، أما الروابط الاجتماعية بالمنطقة المدروسة فهي تأخذ شكل مجموعة من الأنساب تبنى على شكل تقسيمات جنيالوجية تنطلق من العائلة إلى القبيلة فالمكان(Ahmed Joumani, 2006, p118)، وذلك تبعا لخط أبوي النسب.

إن خصوصية المنطقة كمجال واحي يقع ضمن المغرب الصحراوي جعلها مستهدفة من طرف مشاريع تنموية واستثمارية موسعة من بينها الاستنبات الكثيف للتعاونيات والعديد من الأنشطة المدرة للدخل، والتي سيهتم بها المقال من خلال سؤال مُوجِّه أساسي يتعلق بالتحولات التي أحدثتها هاته البنيات الاقتصادية على وضعية المرأة بشكل خاص.

2.الاختيارات المنهجية للدراسة الميدانية، والعينة المبحوثة

إذا صح أن المجال يمثل أحد المداخل العلمية المهمة التي تسمح بدراسة التحولات الاجتماعية، فإن طبيعته كمعطى مادي وبناء اجتماعي تقتضي اعتماد أدوات منهجية خاصة، فما هي المقاربات النظرية والتقنيات المنهجية التي يمكن أن تساعدنا على قراءة خصوصية المجال التعاوني بالمجتمع المدروس؟

من باب الالتزام بالحذر الإبستيمولوجي الذي يقتضي تجنب الوقوع في القراءة الجامدة للمجال، ومن أجل رصد عناصر الاستمرار وعناصر التحول بين المجال المنزلي والمجال التعاوني، تمت المزاوجة بين المقاربتين "الفينومينولوجية" و"البنيوية"، على اعتبار أن الأولى تسمح برصد الطابع المشكالي "للممارسات" وللتجربة المعيشة التي تتم على مستوى المجال، في حين تمكن الثانية من الوقوف عند "التصنيفات" بما هي إحالة على الأفكار والتصورات التي يحملها الفاعلون المعنيون بالدراسة(Marion Segaud, 2010, p10).

بالرجوع إلى الاختيارات المنهجية التي اعتمدها الأنثروبولوجيون في دراسة المجال وتحليله وتأويله ومقارنة الفئات المكونة له، يتبين أنهم انتصروا للرصد الموقعي الذي يعود إلى الطرائق الإثنوغرافية، حيث فضلوا التحليلات ذات الطابع الكيفي، وتخلوا بالتالي عن الطرائق العلمية الكمية المتمثلة في الاستمارة أو التحليلات الإحصائية، وبالتالي فإن هناك دراسات تركز على التدوين والتصوير، في حين تعتمد أخرى على طريقة "تحليل العلاقات والتعارضات" أو ما يصطلح على تسميته*ARO(Marion Segaud, 2010, p26-27).

هكذا ومن أجل الوقوف عند التمفصلات القائمة بين النظام الاجتماعي ونظام المجال بالمنطقة المدروسة، اخترنا الجمع بين التقنيات الثلاث أعلاه وهي: "التدوين" من خلال ملء شبكة الملاحظة، تقنية التصوير الفوتوغرافي، والمقابلة نصف الموجهة، وذلك بالنظر لما يتيحه هذا التنويع المنهجي من إمكانات تسمح بالدراسة الدقيقة للتساؤل الإشكالي المطروح.

أما العينة التي خضعت للدراسة فهي مجالات تعاونية تنشط في مجالات متعددة وعددها 63 تعاونية، 12 من بينها تملك مقرات فعلية لممارسة أنشطتها، في حين تعتمد باقي التعاونيات مساكن بعض أعضائها كمقرات لها، وقد تم تنويع عينة المجالات التعاونية المدروسة تبعا لمعيار تركيبتها من حيث النوع الاجتماعي، حيث تم تقسيمها مبدئيا إلى صنفين:

* اختصارا لعبارة Analyse des Relations et des Oppositions والذي يعد منهجا لغويا يسمح بتفريغ المقابلات غير الموجهة أو الخطابات المكتوبة، انظر في هذا الصدد:(Marion Segaud, 2010, p27)

-مجال تعاوني متجانس من حيث النوع، وهو مجال تعاوني نسائي محض.
-مجال تعاوني مختلط من حيث النوع الاجتماعي.

إلا أن النزول إلى الميدان كشف أن النوعين الاجتماعيين لا يوجدان بالمجال التعاوني المختلط إلا شكليا وعلى الوثائق، في حين يغيب أحدهما على مستوى الممارسة الفعلية، لذلك فإن التصنيف الفعلي لهاته المجالات سيجعل النوع الأول مجالات تعاونية نسائية، بينما النوع الثاني يمثل مجالات تعاونية ذكورية.

إن النوع الثاني من المجالات التعاونية لا تحضر فيه المرأة إلا على الأوراق، "محجَّبة" بصوت الرجل، سواء كان زوجها أو ابنها أو أباها، على مستوى القرارات وبحضوره مكانها في جميع الاجتماعات والجموع العامة، ولا يتم إشراك النساء فعليا إلا فيما ندر من الحالات(Dominique Gentil, 1984, p17)، وقد تم الاحتفاظ في هذا المقال بالنوع الثاني كمجال تعاوني يتيح عملية المقارنة.

إن الهدف من هاته الدراسة، إذن، هو فهم التحولات التي طرأت على الوضعية السوسيو-اقتصادية للمرأة بالمغرب الصحراوي، والتعرف على الإكراهات التي يعرفها ولوجها إلى البنيات الاقتصادية الحديثة، كالتعاونيات، وبالتالي العوائق التي تحد من استفادتها من برامج التنمية المحلية التي تعرفها المنطقة.

3.المرأة وأنثروبولوجيا المجال التعاوني

يضعنا تناول التحولات التي مست وضعية المرأة، في قلب أحد المفاهيم المركزية في العلوم الإنسانية المعاصرة، وهو "الجندر" والذي يتحدد باعتباره مجموع الخصائص الاجتماعية والنفسية والثقافية التي يحملها الجسد، والتي تخضع لرؤية المجتمع للفوارق البيولوجية، وما يضيفه عليها من أنماط سلوكية متباينة، حيث يصبح انقسام الهوية بين كل من الأنثى والذكر نتاج العوامل الاجتماعية والثقافية بالأساس(مي الدباغ، أسماء رمضان، 2013، ص120)، ويعد مفهوم "الجندر" وحدة نظرية تسمح بتحليل الطريقة التي يتم بها إنتاج كل من النظام الاجتماعي والممارسات الاجتماعية، وإعادة إنتاجهما، وكذا الأشكال التي يتم بها مأسسة الاختلافات بين الجنسين بالمجتمع(Dominique Fougetrollas-Schwebel, 2003, p27).

وبالتالي فالفوارق بين الجنسين تأخذ، بهذا المعنى، طابعا بيو-اجتماعيا حيث يلتقي البعد البيولوجي بالبعد السوسيو-ثقافي، ويصبح المجتمع هو المحدد لسلوكات الأفراد، يجعلها تتمايز وتتراتب تبعا للجنس، فتصير الهوية السوسيو-ثقافية للمرأة محددا رئيسا لأدوارها وموقعها داخل عملية الإنتاج.

إن فهم طبيعة التحولات التي مست وضعية المرأة بمناسبة خروجها من المنزل من أجل الانخراط في الدينامية التعاونية المحلية، يدعو للبحث عن مؤشرات فيزيقية ورمزية دالة عليها، وقد كشف الاطلاع على أهم الأدبيات التي تناولت أنثروبولوجيا المجال، أن هذا الأخير يمثل وعاء يحمل عناصر الاستمرار والتحول في الآن ذاته، حيث يتبادل التأثير والتأثر مع الفاعلين: يُبَنْيِنُهم ويُبَنْيِنونَه، فهو في الآن ذاته، يحمل سمات هويتهم الثقافية المحلية، ويخضعهم لنظام القيم والمعتقدات المحلية.

1.3 المجال التعاوني مُبَنيَن ومُبَنِّين

تبين معظم الدراسات الأنثروبولوجية التي اهتمت بالمجال أن بنيته والأقطاب المنظمة له، إضافة إلى العتبة والحدود والتخوم والنوافذ وأكسسواراتها، تعتبر مؤشرات دالة على البنية الميثولوجية والشعائرية للمجتمع الذي تنتمي إليه، علاوة على أن كل التحولات التي قد تطالها تحيل على تحولات اجتماعية دالة، لذلك فإن "العتبة" و"النافذة" وكل "ملحقات" المجال التعاوني من شأنها أن تقدم العديد من المعطيات حول التحولات التي تطال وضعية المرأة بشكل خاص، تلك التحولات التي تخفي استمرار العديد من البنيات الثقافية المحددة للنوع الاجتماعي بالمجتمع المدروس. وبالتالي فإن تحليل النظام المجالي يتيح استقراء عناصر "البنْيَنَة"(Jesus Leal Maldonado, 1997, p28)، كما تتم بين المجال الفيزيقي والمجال الرمزي، أي بين المجال ككينونة ملموسة وبين إيديولوجيا الجماعة وتمثلاتها الرمزية.

إن المعطيات الميدانية تبين أن المجال التعاوني لا يحمل سماته بشكل عشوائي، كما أنه ليس موجودا بشكل قبلي ومستقل عن الثقافات التي ينتمي إليها، ولا عن الأزمنة التاريخية التي تؤطره، ولا عن التمثلات التي يحملها الفاعلون(Marion Segaud, 2010, p8-9)، بل هو بناء ثقافي يخضع للبنية الذهنية للفاعلين. على أن المجال ليس فقط "مُبنيَناً" بل إنه أيضا "مُبنيِن"، وذلك في إطار علاقة ديناميكية تربطه بالأفعال الاجتماعية(Jesus Leal Maldonado, 1997, p30).

إن هذا التصور الديالكتيكي للمجال يجعله تجريدا ملموسا يأخذ تمظهرات متعددة، ووسيلة لمعرفة الأفعال الاجتماعية باعتبارها بنية، لكنه مع ذلك نتاج لهاته الأفعال، إن هذا التصور ليس سوى محاولة لمنح المجال تصورا إبستيمولوجيا يجعله تأليفة بين كونه: مبنيِنا بالنظر إلى أنه الوسيلة التي تسمح بتأسيس موقع ومكان الأفعال الاجتماعية، ومُبنيَنا أيضا ومنظَّما بالقدر الذي يجعل هذه الأفعال الاجتماعية تنتج سلسلة من الموضوعات التي تجسد المجال ماديا(Jesus Leal Maldonado, 1997, p30)، وبالتالي فإن إخضاع المجال التعاوني لدراسة أنثروبولوجية يسمح بالوقوف عند عملية إنتاج المجال من خلال ضبط عناصر هاته العلاقة الديناميكية بين المجال والفعل الاجتماعي.

إن الجماعات الاجتماعية لا يبنين ممارساتِها المجالُ فحسب، فهاته الأخيرة تظل مُنظمة تبعا لتمثلاتها الخاصة، وهذا نابع من التصور الإبستيمولوجي للمجال، فإذا كان هذا الأخير "يُبَنِين" الفعل الاجتماعي، فإنه ما من شك أن هذه التمثلات تشرط أشكال ترتيب العناصر المختلفة لهذا الفعل، وهو ما يدعو للقول إن المجال ليس موضوعا، ولا هو معطى قبلي، بل هو إطار مرجعي للأفعال(Jesus Leal Maldonado, 1997, p29).

إن المعطيات أعلاه توفر أرضية نظرية مهمة تمتح من أنثروبولوجيا المجال التي تنطلق من مقولة أساسية مفادها أن المجالين المادي والرمزي، عموما، يتداخلان وفق علاقة جدلية، وهو ما سيتم فحصه بالتركيز بشكل خاص على دراسة المجال التعاوني الذي تستعمله المرأة بالمغرب الصحراوي، فإلى أي حد يمكن القول، إن المجالات التعاونية المدروسة تعمل كمجالات اجتماعية مُبَنْيَنَة من طرف المجال الرمزي المحلي، وبأنها بدورها مُبَنْيِنَة للفعل الاجتماعي؟

2.3 المجال التعاوني النسائي: تجانس النوع الاجتماعي وغياب القطبية البنيوية الثنائية

تسمح الدراسة العلمية للمجال برصد أهم التحولات التي تطرأ على العلاقات الاجتماعية وعلى البنى الثقافية للمجتمع، خاصة وأن المجال يكف داخل الأنثروبولوجيا عن أن يكون كينونة ميتافيزيقية، ليصبح وعاء يستوعب العديد من الرموز والدلالات، بما هي امتداد للبنية الذهنية وللوعي الجماعي، أي أن "المجال الاجتماعي" هو في الآن ذاته مجال ملموس ومعيش، ومجال رمزي، يخضع للتأويل والتحديد من طرف تمثلات الفاعلين، إنه على قدر مهم من الكثافة وذلك تبعا لأهمية التفاعلات الاجتماعية والمسافة الاجتماعية بين الفاعلين(Yves Alpe et Al, 2007, p107).

وإذا كانت معظم الدراسات التي تهتم بأنثروبولوجيا المجال تبحث في دلالة عناصره، فإنها قامت بذلك من خلال استنطاق رمزيته الثقافية باعتماد المقاربتين البنيوية والفينومينولوجية، على أن جلها يستحضر الوصف الشهير للمنزل القبايلي الذي أنجزه "بيير بورديو" والذي يبين فيه أن الاتجاه (شرق، غرب، أعلى، إلخ) يحدد مكان الرجل ومكان المرأة، مؤكدا أن ذلك ينطبق على معظم المجتمعات الإسلامية(Marion Segaud, 2010, p124)، التي تخصص الداخل للنساء والخارج للرجال، مما يجعلها مرجعا أساسيا للبحث في الفوارق بين الجنسين في علاقتها بالمجال، وفهم الكيفية التي تقرأ بها هذه الفوارق وتترسخ داخله،(Marion Segaud, 2010, p148-149)، فالمجال الاجتماعي لا يخضع في مجال الأنثروبولوجيا للنظرة الجوهرانية، لأن مفهوم المجال ينطوي في ذاته على مبدأ الفهم العلائقي للعالم الاجتماعي(Pierre Bourdieu, 1994, p53).

إن التأصيل "للقطبية البنيوية" يقتضي العودة إلى ما هو ديني، ذلك أنها تقوم على التعارض الجوهري المتمثل في المقدس والخالص من جهة، والمدنس وغير الخالص من جهة أخرى(Pierre-Robert Baduel, 1986, p239)، أي أن مصدر القطبية البنيوية التي تسكن المجال العربي، وحتى الأمازيغي، المسلم هو القطبية الدينية والتي تنتظم على شكل سلسلة من التعارضات والأقطاب: يمين/يسار، أعلى/أسفل، شرق/غرب، جاف/رطب، مطهي/نيئ، مذكر/مؤنث، مقدس/مدنس، خاص/عام، ثقافة/طبيعة(Pierre-Robert Baduel, 1986, p251).

إن القطبية البنيوية الاجتماعية بهذا المعنى قد تكون، حسب الأنثروبولوجي "روبير بيير بادويل" Pierre-Robert Baduel، انعكاسا ونتاجا للقطبية البنيوية الدينية، فالتعارض نساء/ رجال هو من نوع التعارض بين المقدس/ المدنس، ومن هنا تأتي تلك الهوة التي تفصلهما وتقسيم العمل الصارم الذي يوزع جميع المهام بين الرجال والنساء بشكل لا يسمح بالخلط بينها،(Pierre-Robert Baduel, 1986, p240) مما يجعل هذه النظرة الإيديولوجية للعالم تنعكس على الوجود الاجتماعي المجالي لكل من النوعين الاجتماعيين، وتؤثر فيه.

وبالعودة إلى المجتمع موضوع الدراسة، فإنه يتبين لنا أن المجال المنزلي بالمجتمع المدروس يخضع بدرجات متفاوتة لهذه القطبية البنيوية، وقد أكد المفكر المغربي "أحمد الجماني" في مؤلفه الرائد حول التاريخ الاجتماعي للمجتمع موضوع الدراسة، أن علاقة هذا الأخير بالمجال

وبالاتجاهات محكومة بنظرة كوسموس خاصة يختلط فيها الديني بالاجتماعي الثقافي، فالقِبلة في مسجد حي "مازيغ" Mmazigh مثلا لا تولي وجهها نحو الشرق إسوة بباقي مساجد القرية، بل توليه جنوبا شطر مقدسها الاجتماعي المتمثل في "الزاوية "، ويضيف مفسرا أن الأمر يتعلق بقراءة انقسامية للمجال تستحضر علاقات الصراع بين الجماعتين "مازيغ" و"أهل حايين"،* ذلك أن تموقع المسجد بتلك الطريقة يضع "أهل حايين" جهة اليسار مع ما يعنيه ذلك من رمزية تجعله مجالا خاصا بالعدو وبالشيطان،(Ahmed Joumani, 2008, p134).

وإذا كانت المجالات التعاونية التي قمنا بدراستها تغيب فيها هذه القطبية الثنائية، فإن هذا لا يعني أنها تمثل استثناء لهذه القاعدة، ويعود ذلك إلى كون العينة التي تمت دراستها إما أنها نسائية بالكامل، وإما أنها تكون مختلطة لكن ظاهريا وشكليا فقط بحيث يكون الفاعلون الفعليون إما جميعهم ذكورا أو جميعهم إناثا، مما يضعنا، كما أسلفنا، أمام عينة تعاونيات متجانسة من حيث النوع الاجتماعي.

وهذا ما يغيب القاعدة الثقافية التي تحكم عادة تقسيم المجال غير المتجانس من حيث النوع الاجتماعي إلى قطبين متعارضين، وذلك لصالح تقسيم يهدف إلى تنظيم العمل وتسلسل مراحل الإنتاج (مثلا نجد بتعاونية خاصة بإنتاج الصبار: مكان مخصص لفرز الصبار/غسله وتنقيته/ طحنه/ نقله، إلخ)، ذلك أن ما كان يفرض في الأصل هذه القطبية البنيوية الثنائية داخل المجال المنزلي هو الرغبة في الفصل داخل نفس المجال بين النساء والرجال، من خلال مجالات فرعية.

وهكذا فإنه يمكن الحديث عن وحدة المجال التعاوني المتجانس من حيث النوع الاجتماعي، فإذا كان المجال مضيئا فإن هذه الخاصية تكون عامة وواحدة في جميع المجالات الفرعية، ونفس الشيء إذا كان مظلما، مفتوحا على الخارج، علويا، سفليا، شرقيا أو غربيا، إلخ، فإنه يستعمل من طرف جميع المتعاونات النساء، أو المتعاونين الرجال، مما يعني أن القطبية البنيوية الثنائية يفرضها في الأغلب، وجود النوعين الاجتماعيين معا بنفس المجال الاجتماعي، في حين تختفي مع تجانس المجال من حيث النوع الاجتماعي.

وبالتالي فإن تجانس التعاونية النسائية من حيث النوع الاجتماعي أفضى إلى التخلي عن هذه القطبية الثنائية، وذلك لصالح ظواهر وسمات مجالية أخرى، تتمثل بالأساس في تقسيم العمل.

3. المجال التعاوني والحد: العتبة وأكسسوارات المجال

إن الحديث عن وجود مجالين متمايزين: مجال عام، مجال خاص، يفترض وجود مجموعة من الحدود بينهما، حدود تأخذ مظاهر فيزيقية، وأخرى رمزية، ولعل الكشف عنها وعن الممارسات المرتبطة بها، قد يوفر معطيات حول استعمال المرأة، بشكل خاص، لكل من هذين المجالين، وبالتالي حول المستمر والمتحول في وضعيتها.

1.3 "عتبة" المجال والممارسات اللباسية الفارقية

إن العلاقة الديالكتيكية بين المجال والفعل الاجتماعي التي يكون بمقتضاها المجال مُبنيًا ومبنيًا تجعل المجال يحمل العديد من الرموز المرئية والمكشوفة، كالعتبات والنوافذ، والدرج، كما أن

*يتعلق الأمر بدوارين بواحة "أسرير" شمال المغرب الصحراوي، وهما متجاورتان جغرافيا

بعض الممارسات المرتبطة به تستحق الوقوف عندها للجواب عن السؤال: هل المتعاون (ة) يستعمل التعاونية كمجال خاص أو كمجال عام؟

بالرجوع إلى الميدان المدروس، يتبين أن المجال التعاوني الذي يستعمله الذكور، مفتوح بالكامل على الخارج، يحتل مجالا "شديد الإضاءة" بشكل يسمح في الآن ذاته للموجود بالداخل أن يرى الخارج والمارة، ويسمح للموجود بالخارج أن يلقي نظرة على الداخل بكامل تفاصيله، بل إن باب التعاونية مفتوح كليا على الطريق الرئيسي للجماعة القروية، كما لاحظنا أن العضو الرجل عند وجوده داخل المجال التعاوني لا يغلق الباب تماما فقد يحتفظ به نصف مفتوح، أو يدعه مفتوحا غير متحرج بذلك من النظرات الخارجية والدخيلة التي قد تلج إلى المجال التعاوني وتخترقه.

صورة 1 :مقر مكتب تعاونية حوض وادنون لتربية الدواجن، المختلطة، جماعة « أسرير»

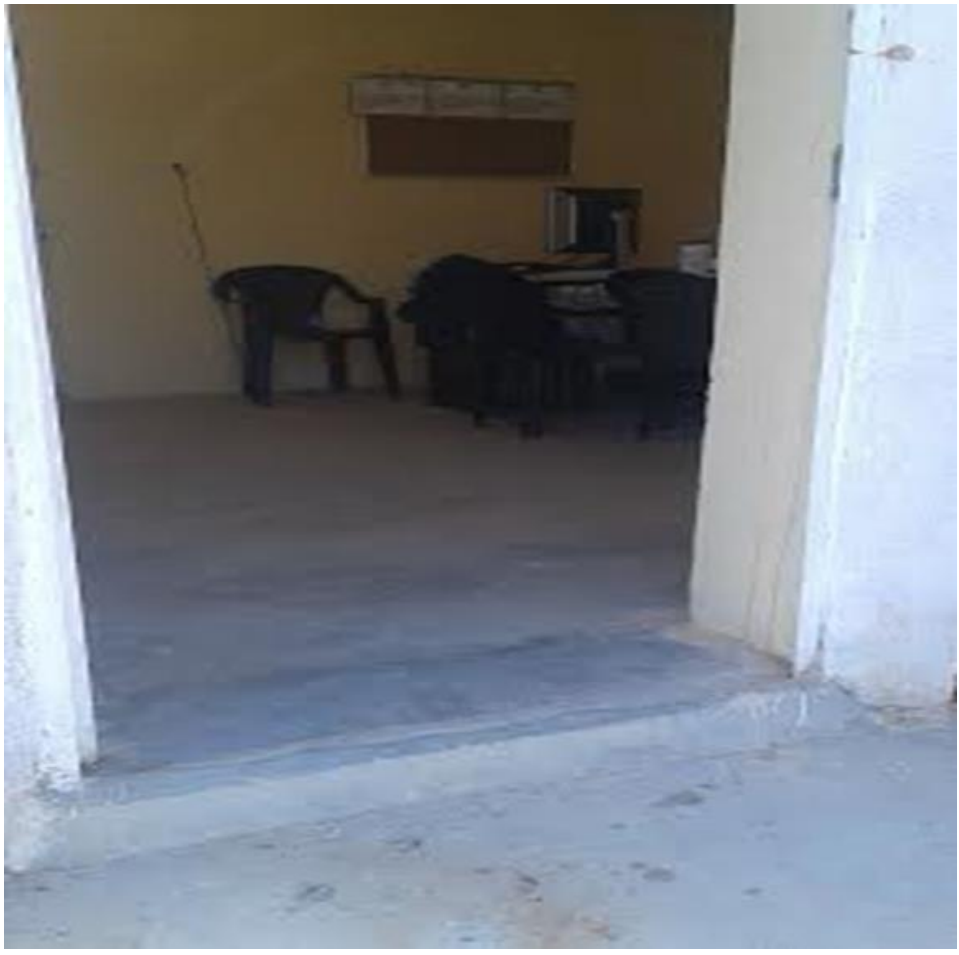

المصدر: العمل الميداني، من إنجاز الباحثة

على النقيض من ذلك، وخلافا لهاته السمات المجالية، نجد أن المجال التعاوني المستعمل من طرف النساء مغلف بحجاب سميك ومحاط بالعديد من التخوم التي تحدد انغلاقه وعزلته عن العالم الخارجي المحيط به، حيث نجد عند المدخل الرئيس للمجالات التعاونية النسائية المدروسة، وبعد صعود الدرج الخارجي، بابا كبيرا للسور المحيط بالتعاونية، السور عال ومحاط بالنباتات، مع ما لهما من قدرة على ضرب الحدود limites على المجال.

صورة2 : المدخل الرئيس لتعاونيتين نسائيتين بالمنطقة، حدود متعددة

المصدر: العمل الميداني، من إنجاز الباحثة

مباشرة بعد الباب الرئيس للتعاونيتين، نجد سلما ثانيا من أدراج، مساحة الدرج الواحد مهمة من بين وظائفها تيسير استعمالها أثناء التنقل ونقل الأوزان الثقيلة والكميات الكبيرة من الشعير والكسكس وأكياس منتوج "المكلي* Megli، بين التعاونية والخارج، ثم على جانبي السلم نلاحظ وجود نباتات كثيفة لا تحجب الرؤية لكنها تغربلها، على أن الفيضانات باعتبارها واحدة من الكوارث الطبيعية التي تتضررمنها المنطقة بشكل دوري، يمنح لهاته الأدراج وظيفة مزدوجة، حيث ينضاف للأولى وظيفة حماية المجال التعاوني منها.

*منتوج تعاوني محلي يتم إعداده بتحميص الشعير المحلي وطحنه جيدا للحصول على "دقيق الشعير المحمر" الموجه للسوق الاستهلاكية المحلية والوطنية.

صورة3 :النباتات عتبة فيزيقية تغربل الرؤية

المصدر: العمل الميداني، من إنجاز الباحثة

بعد صعود الأدراج نجد باب التعاونية مسبوقا بعتبة، ثم إما أننا نجد مباشرة المجال الداخلي للتعاونية الذي تشغله المتعاونات أثناء قيامهن بالأنشطة التعاونية، أو نعثر على مجالات وسيطة إضافية كالممر الضيق Le couloir المفضي إلى داخل المجال التعاوني حيث تعمل المتعاونات خلال ممارسة نشاطهن، وهكذا فإن التعاونية التي تشغلها النساء تكاد تكون محجوبة بالكامل وبحدود مضاعفة.

إن "العتبة" هي أحد أهم عناصر عبور الحد الذي نعثر عليه بجميع المجتمعات، وهي تعبر من الناحية الأنثروبولوجية على منطقة تقاطع ثلاثة أبعاد: المجالي، الاجتماعي والرمزي، ولما كانت أداة مادية ورمزية، فهي في الآن ذاته ثابتة ومتحركة، وقد وجدت من أجل أن تُعبَر، لذلك فإن المرور منها يكون مصحوبا بطقوس خاصة (كأن يتم إزالة الغطاء عند الدخول أو التغطي عند الخروج إلى المجال العام مثلا)، ويمكن لهذه الطقوس أن تتأسس على عناصر معمارية أو على أدوات مادية كالجرس مثلا، وهذا يمنحها، حسب أنثروبولوجي المجال "ماريون سيكو" Marion Segaud، وظيفة اجتماعية تتمثل في تنظيم العلاقات الاجتماعية، من خلال "الفصل"، خاصة بالمجتمعات التقليدية العربية المسلمة حيث تنتظم العتبة حول عدة عناصر للفصل بين عالمي: المؤنث والمذكر،(Marion Segaud, 2010, p130-131).

ولما كانت الممارسات الاجتماعية تخضع لطبيعة المجال، فإن وضع الممارسات اللباسية للمرأة بالتعاونية تحت الملاحظة، يكشف اختلافها بين كل من المجالين التعاوني والعام، فقد تبين من جهة أن جميع المتعاونات بدون استثناء يرتدين اللباس التقليدي المحلي "الملحفة" Melhfa، كما تبين، من جهة ثانية، أن وجود ممارسات لباسية فارقية تختلف تبعا لتواجد العضوات داخل

التعاونية أو خارجها، وتتمثل هاته الممارسات بالأساس في "التحزام" Tahzam أي تشمير أطراف الملحاف وحزم الجزء السفلي منه حول الخاصرة أو خلعه داخل التعاونية، تغيير اللباس الذي يصلح للخارج بآخر مخصص للعمل التعاوني سواء كان وزرة عمل أو ملحافا مغايرا مخصصا للإنتاج، كما تفعل المتعاونات من أجل إعداد المنتوجات المحلية.

لكن بمجرد بلوغ عتبة المجال التعاوني أو مغادرته، تقوم المرأة بارتداء ملابس الخروج، وتغطية كامل الجسد باللباس التقليدي المحلي (الملحفة)، بل إن من النساء من تنتقب بالجزء العلوي للملحاف بحيث تغطى كامل الوجه باستثناء العينين، وهو ما يسمى محليا "التنكّاب Tengab، إن هذه الممارسات اللباسية تمثل بدورها عتبات رمزية تشير إلى اختلاف السلوك المجالي لاسيما لدى النوع الاجتماعي النسائي.

صورة 4 :"التحزام" و"التنكاب" ممارستان لباسيتان فارقيتان

المصدر :العمل الميداني، من إنجاز الباحثة

وهكذا فإن ملاحظة الممارسات الفارقية كاللباس، تمكن من معرفة التحول المجالي الذي وقع وذلك تبعا لتمثلات النساء، فهاته الممارسات تعلن استعداد المرأة للمرور من مجال إلى مجال آخر، وتمكن بذلك من قراءة تمثل الفاعل لوجوده بكل منهما.

إن أنواع الحدود limites التي درستها أنثروبولوجيا المجال متعددة: كالمحارس، الحواجز، الخنادق، الجدران، الأبواب، النوافذ، إلخ، وكلها تمثل مجموعة التحديدات المضروبة فيزيقيا أو رمزيا والتي تسمح بالعبور أو تمنعه، تراقب وتغربل(Marion Segaud, 2010, p131)، وتضبط المجال وحتى العلاقات بين النوعين الاجتماعيين، موفرة بذلك العديد من المعطيات بشأن وضعية المرأة شمال المغرب الصحراوي.

2.3 النافذة وملحقاتها: صدفة معمارية أم حجب ثقافي للمجال التعاوني النسائي؟

تبين الملاحظة الميدانية أن معمار المجال التعاونية يختلف عن المساكن بالمجتمع المدروس، ففي الوقت الذي تكاد تغيب فيه النوافذ بالمساكن التقليدية، أو لا توجد بها في بعض الحالات إلا

على شكل ثقوب صغيرة المساحة وتأخذ موقعها على علو مرتفع، فإنها متوفرة بالأولى وبمساحة أكبر تسمح برؤية المجال الخارجي، فهل تكفي المقاربة الوظيفية من أجل فهم أكسسوارات المجال التعاوني؟ أم أن ذلك يستدعي تجاوزها باتجاه استحضار علاقتها بالمجال الرمزي المحلي؟

لا شك أنه لا سبيل إلى إنكار البعد الوظيفي للمجال ومكوناته، غير أن الأنثروبولوجيا تنبهنا إلى أبعاده الثقافية، وقد أسست السوسيولوجيا الفرنسية للتعارض بين مفهوم "النماذج الثقافية" في مجال السكن، وبين مفهوم الحاجة، وهو التعارض الذي يسمح بتجاوز المقاربة الوظيفية التي كانت تنظر "للنافذة" على أنها استجابة للحاجة إلى التهوية، الإضاءة، الرؤية، واختزال السكن عموما إلى قياسات ومساحات، وبالانطلاق من البعد الاجتماعي والرمزي ستصبح النافذة لا مجرد فتحة في جدار، بل ستغدو نظاما يحدد العلاقة بين الداخل والخارج، أي بين الذات والآخرين(Marion Segaud, 2010, p95-96).

إن السمات التي تحملها النافذة تحتاج إلى تكثيف الوصف وإتباعه التحليلَ الأنثروبولوجي، ولعل الخاصية التي تميز النافذة بالمجال التعاوني النسائي المدروس، تتجسد في كونها مزودة بالعديد من الأكسسوارات التي تؤدي، حسب المتعاونات، وظيفة الحجب الكلي للداخل عن الخارج، فجميع التعاونيات النسائية موضوع الدراسة تستعمل الستائر والناموسيات moustiquaires، التي تؤدي وظائف مزدوجة، إذ أن الستائر، من حيث بعدها الوظيفي، تسمح بالتحكم في شدة الإضاءة، لكنها، من الناحية الثقافية، تؤدي وظيفة ستر المجال النسائي عن العالم الخارجي خاصة خلال اشتغالهن داخل المجال التعاوني.

أما الناموسيات باعتبارها نسيجا رقيقا به خروق لا متناهية وفي غاية الدقة، فتُكسى بها النافذة من أجل حماية التعاونية وأنشطتها ومنتوجاتها (منتوجات الصبار، الكسكس الخماسي، إلخ)، من حشرة الناموس التي تنتشر عادة بالمجتمعات الواحية، لكنها علاوة على ذلك تنطوي حسب المتعاونات على وظيفة ثقافية تتمثل في زيادة حجب المجال التعاوني النسائي، حيث يعود إلى طبيعة نسيجها ودقة ثقوبها الفضل في غربلة النظرات الفضولية التي قد تأتي من الخارج، وحماية الجسد الأنثوي منها، تماما كما يحفظه المجال المنزلي التقليدي بعلوه وقلة أعداد نوافذه وصغر حجمها.

زيادة على هذه الأكسسوارات فقد لوحظ أن معظم النوافذ بالتعاونيات النسائية بالمنطقة المدروسة مزودة بسياج إضافي، هاته النوافذ المسيَّجة، لا يمكن نفي وظيفتها الأمنية، إلا أنه يمكن قراءتها رمزيا كعنصر مُسيِّج للمجال النسائي، يحميه من الخارج، ويحفظ له حميميته كمجال خاص يسمح للمرأة بالإنتاج، رغم أنه يتواجد خارج المجال المنزلي.

وقد تمكننا مقارنة الممارسات الثقافية التي ترتبط بالنافذة بين ثقافتين مختلفتين من توفير معطيات مهمة بشأن وضعية المرأة شمال المغرب الصحراوي، ويتعلق الأمر بمقارنة "جاهزة" تم العثور عليها بالأدبيات التي تم الاطلاع عليها، بين استعمال النافذة داخل الثقافة العربية والأمازيغية، وبين استعمالها داخل الثقافة الهولندية والتي توفر عنها الأنثروبولوجيا الثقافية تحليلا عميقا يربطها بموقع المرأة داخل المجتمع الهولندي.

مما يعني أن مفهوم "الحد" الذي يحكم دراسة السكن، ومنه دراسة المجال عموما، هو مسافات وحدود يحكمها المجال الجسدي المتأصل بكل كائن حي(Pierre Robert Baduel, 1986, p33)، وبالتالي فإن دراسة النوافذ بالعالم العربي المسلم، تبين العلاقات المعقدة القائمة بين استعمالات النوافذ، الأشكال الداخلية للمجال المنزلي، والأخلاق العرفية، ذلك أن العلاقة بين هاته "الفتحات" و"محيطها" لا هي بالقَلُوبة، ولا هي بالمتماثلة، لذلك فهي تقوم على قاعدة: "أَنظُر دون أن أُنظَر"، حيث لا تسمح برؤية الداخل، أي بالنظر من الخارج نحو داخل المسكن،(Marion Segaud, 2010, p134)، وقد كان من أهم ما لاحظته العديد من الدراسات الأنثروبولوجية للبيت المسلم أنه يعبر أكثر على الانعزال والحجب، ويقوم على فكرة التسييج والإبعاد وإقامة الحدود الفيزيقية والرمزية،(Pierre-Robert Baduel, 1986, p233-234).

ويبين "بيير روبير بادويل" في سياق مشابه، الطابع المحجب للبيوت للسكن القروي بالصحراء الجزائرية، مثلا، فهو يأخذ شكل متوازي السطوح القائم، به فتحة واحدة هي باب الدخول، ويتكون من غرف مفتوحة على الفناء الداخلي وهي بدورها لا يوجد بها غير فتحة وحيدة هي الباب، حيث تغيب النوافذ في هاته الثقافة، كما أن الباب لا يقع على إحدى واجهات المنزل بل في إحدى زواياه التي تسمح بتفادي ولوج العيون الفضولية إلى فناء المنزل،(Pierre-Robert Baduel, 1986, p242).

أما بالنسبة للمجال في بعض البلدان الأوروبية مثلا، فالأمر يختلف، ذلك أن المرأة غالبا ما كان يتم تصويرها في لوحات القرنين السابع عشر والثامن عشر قرب هذه الفتحة، على الحدود بين المجال الخاص المنزلي والمجال العام، ويمكن للنظرة هنا أن تتحرك في الاتجاهين معا، بحيث يمكن أن نرى من الشارع بعضا من داخل المنزل، لذا فإن موقع النافذة داخل البناء، يفصح عن موقع المرأة داخل المجتمع الغربي،(Marion Segaud, 2010, p135).

إن المقارنة هنا ليست تفاضلية بالمرة، ذلك أن الغرض منها هو التأكيد على ذلك الارتباط الوثيق بين المجالين الفيزيقي والرمزي، وإذا شئنا أن نقرأ سمات المجال التعاوني المدروس في هذا الإطار، وباستحضارنا للسلوكات اللباسية ولملحقات المجال وأكسسواراته، فإنه يمكن القول باستمرار نفس الممارسات الثقافية المتعلقة بتواجد المرأة بالمجال العام، وذلك من خلال حجب جسدها عندما يتعلق الأمر بالمجال المختلط، أو الذي يُحتمل أن يختلط حتى وهي خارج المنزل، فالستائر والنباتات والعتبات والسلالم ومختلف ملحقات المجال لا تبدو مجرد صدفة معمارية، بل تدل كلها على أن المجتمع المدروس يضع لجسد المرأة حجابا ثقافيا، لا في المجال المنزلي فحسب بل وحتى في المجال التعاوني، حيث يجعله مشروطا بجملة من الحدود والتحديدات.

مما يعني إمكانية القول باستمرار التمثلات المحلية لجسد المرأة، واستمرار العديد من البنيات التقليدية المرتبطة بالنوع الاجتماعي، ونستحضر في هذا الإطار ما قالته "الغالية" إحدى المستجوبات: "ما زلنا لم نتحرر تماما من نظرة المجتمع لخروجنا إلى المجال العام، فالناس مثلا ينظرون إلينا بعين النقص كلما أخذ منا الوقوف بالشارع الرئيسي لانتظار وسيلة نقل الشعير المحمص إلى الطاحونة وقتا طويلا"، وتضيف "عائشة" العضوة بتعاونية الكسكس: "يواجهنا دائما مشكل من ينطق باسم التعاونية خلال الاجتماعات المختلطة، إن النساء يتخوفن إن هن

تكلمن أن يقال إن زوجة فلان تكلمت في حضرة الرجال، أو أخذت الكلمة بحضورهم"، وهذا يعني استمرار النظرة الذكورية المتحفظة بشأن "مسرحة وجود المرأة" في المجال الاجتماعي العام.

أما الرجل فهو يعيش وضعا مغايرا، حيث أن الرجل الذي يحظى بالاحترام، حسب تعبير "بيير بورديو"، هو "الذي يجب أن يسمح برؤيته، أن يتنقل باستمرار بين الناس وعلى مرأى من الآخرين، وأن يواجههم، إن استراتيجيات الشرف تجسد نوعا من المسرحة السلوكية، التي تتم أمام الآخرين، باعتبارهم المتفرجين المخطورين بالنص وبلعب المشاهد"،(Pierre Bourdieu, 2000, p69)، حيث يتحفظ المجتمع المدروس بشأن وجود المرأة بالمجال العام خاصة بالشكل الذي يفرضه العمل التعاوني، في حين أن وجود الرجل بهذا المجال يظل مقبولا، بل إنه مرغوب فيه، باعتباره يمثل امتدادا لوضعيته الأصلية.

من جهة أخرى بينت المقابلات المنجزة في إطار إعداد هاته الدراسة، أن الحجاب الاجتماعي للمرأة، ليس "حجاب مجال" فحسب، بل هو "حجاب زمان" أيضا، فقد بينت الدراسة الميدانية أن هناك أنشطة تعاونية وجدت النساء صعوبة في ممارستها، والحال هنا النشاط المتعلق "بتربية الدواجن"، الذي كان من بين أسباب توقفه عدم ملاءمة الزمن المخصص للاعتناء بالدواجن بالتعاونية، لزمن وجود المرأة بالمجال العام، إذ لما كانت الدواجن تحتاج نظام تغذية وتتبع خاصين يفرضان على الـمُعْتَنِي بها الاستيقاظ باكرا مع ما يعنيه ذلك من مخالطة للمجال العام في أوقات مبكرة، فإن الساكنة وجدت أن هذا الأمر، حسب "البشير" رئيس تعاونية "حوض وادنون"، غير ممكن للمرأة في مجتمع يرفض خروجها في أوقات محددة ويعتبره عيبا وغير مقبول، هذا الوضع يفسر استمرار ارتباط هذا النوع من المجالات والأنشطة التعاونية بالرجل، وغياب المرأة عنها أو تحجيب وجودها به، مما يدل على أن المجتمع المدروس يُحجب المرأة لا مجاليا فقط بل وحتى زمانيا، بشكل يرسخ إيديولوجيا الجماعة داخل المجالية الفيزيقية، حيث تعمل المجالية الرمزية على إنتاج المجالية الفيزيقية(Rahma Bourqia, 1990, p248).

وبالتالي، فإن المجال التعاوني بما هو تنظيم حديث لا يقع خارج الثقافة المحلية التقليدية، حيث تبين أن عناصره من أكسسوارات وملحقات تتزيى بزي الرمز، وأن ترصد الدلالات التي يحملها هذا الأخير تكشف أن التعاونية ليست معزولة عن السياق الرمزي الذي استنبتت فيه، على أن التعالقات بينهما تجعل الهوية الثقافية التقليدية للمرأة تتأرجح بين الاستمرار والتحول.

يتبدى إذن من خلال العناصر النظرية والأمبريقية أعلاه أن النتيجة المركزية التي تم التوصل إليها هي أن المجال التعاوني بوصفه بنية حديثة، يؤثر في المجال الرمزي التقليدي المحلي وذلك بإحداثه للعديد من التحولات السوسيو-اقتصادية على وضعية المرأة، تمثلت في خروجها للمجال العام، ومساهمتها في الإنتاج في إطار مشاريع مدرة للدخل، إلا أنه هو نفسه يخضع لتأثير المجال الرمزي المحلي، ويتجلى ذلك في استمرار العديد من البنيات التقليدية المحلية حتى بالمجال التعاوني، حيث نعثر على الهيمنة الذكورية بالتعاونيات المختلطة من حيث النوع الاجتماعي، والتي تستعملها المرأة بوصفها مجالا عاما، في الوقت الذي تستعمل فيه المجال التعاوني النسائي كمجال خاص يخضع لبنية المجال المنزلي نفسها.

خاتمة

يمكن القول إذن إن التحول الاجتماعي يحدث بحيث تستمر العديد من البنيات التقليدية حتى داخل التنظيمات الحديثة، والتي تظل مشروطة بنفس النظرة الإيديولوجية التي تحكم المجال الخاص، حيث يخضع لهوية النوع الاجتماعي الذي يستعمله، مما يجعله فيزيقا مُبنيَنة رمزيا من طرف الثقافة المحلية.

وهكذا فقد تبين أن ولوج المرأة للمجال التعاوني يخفي استمرار العديد من ملامح وضعيتها الأصلية، ذلك أن خروجها إلى المجال الاقتصادي العمومي الذي كان محتكرا من طرف الرجل، ظل مصحوبا بالعديد من الظواهر المجالية كتعديد العتبات وضرب الحدود على المجالين الفيزيقي والرمزي، واستمرار الممارسات الانتقائية التي تقاوم ولوجهن إلى العديد من الأنشطة السوسيو-اقتصادية المدرة للدخل.

إن توفر شروط حجاب المجال التعاوني هو ما يشرعن وجود المرأة خارج المجال المنزلي، ويتيح لها إمكانية التفاوض لدى محيطها العائلي بشأن الانتماء إلى التعاونية، خاصة في ظل استمرار وجود عائلات ترفض وتقاوم خروج المرأة من البيت وسفرها إلى خارج المنطقة، وتتحفظ بشأن عملها المأجور نقدا.

ولئن كانت دراسة قضايا "النوع الاجتماعي" في المجال التعاوني مما يظل من الأهمية بمكان، فإن قضايا إضافية من قبيل الصراعات و"التراتبات الاجتماعية" بين النساء وانعكاسها على وضعهن على مستوى النشاط التعاوني تظل مما يستحق اهتماما أنثروبولوجيا خاصا، لاسيما وأن المجال التعاوني يختزن المزيد من الرموز والدلالات التي تحتاج قراءتُها تعميق الوصف والتحليل لمعيش الفاعلين بالمجال التعاوني عموما والنسائي بشكل خاص، وذلك بتنويع المقاربات النظرية والتقنيات المنهجية.

قائمة المراجع:

1. الدباغ مي، رمضان أسماء(2013)، النوع الاجتماعي: نحو تأصيل المفهوم في الوطن العربي واستخدامه في صوغ سياسات عامة فعالة، مجلة إضافات، ع23-24، مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت.

2. ALPE Yves & AL(2007), Lexique de sociologie, 2ème édition, Editions DALLOZ, Paris

3. BADUEL Pierre-Robert(1986), Habitat traditionnel et polarités structurales dans l'aire arabo-musulmane, In : Annuaire de l'Afrique du nord, Editions du CNRS, t. XXV.

4. BOURDIEU Pierre(2000), Esquisse d'une théorie de la pratique, Editions du Seuil, Paris.

5. BOURDIEU Pierre(1994), Raisons pratiques : Sur la théorie de l'action, Editons du Seuil, Paris.

6. BOURQIA Rahma(1990), Espace physique, espace mythique : Réflexion sur la représentation de l'espace tribal chez les Zemmour, In : Le Maroc : espace et société, Passau, vol. Spéc.1, Passau, Allemagne.

7. De La Chapelle Frederic(1930), Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental, Hespéris, Vol XI, fasc. 1-2, Rabat, Maroc.
8. FOUGETROLLAS-SCHWEBEL Dominique(2003), Genre, catégorie sociale et rapports de domination, In : Le genre comme catégorie d'analyse, Sociologie, histoire, littérature, Collection Histoire du féminisme, Editions L'Harmattan, Paris.
9. GENTIL Dominique(1984), Les pratiques coopératives en milieu rural africain, Editions l'Harmattan, Paris.
10.JOUMANI Ahmed(2008), L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun, Collection Histoire & Sociétés du Sud marocain, Editions La Croisée des Chemins, Imprimerie El Maarif Al Jadida-Rabat
11.JOUMANI Ahmed(2006), Oued Noun, sud Maroc, mythes et réalités, In : L'Ouest Saharien, Volume N° 6, CAHIER D'ETUDES PLURIDISCIPLINAIRES, L'Harmattan, Paris.
12.LEAL MALDONADO Jesús(1997), Sociología del espacio : el orden espacial de las relaciones sociales, In Política y sociedad : Sociedad, Espacio y Tiempo, *25*, Facultad CC Políticas y sociología, Universidad Complutense, Madrid
13.SEGAUD Marion(2010), Anthropologie de l'espace : habiter, fonder, distribuer, transformer, Armand Colin, Paris